.

وفي أواخر مرضه بأيام يسيرة عاده قاضي القضاة سعد الدين بن الديري الحنفي فسأله عن حاله فأنشده أربعة أبيات من قصيدة للإمام أبي القاسم الزمخشري وهي .

(قرب الرحيل إلى ديار الآخرة % فاجعل آلهي خير عمري آخره) .

(وارحم مبيتي في القبور ووحدتي % وارحم عظامي حين تبقى ناخره) .

(فأنا المسيكين الذي أيامه % ولت بأوزار غدت متواتره) .

(فلئن رحمت فأنت أكرم راحم % فبحار جودك يا آلهي زاخره) .

وقد رثاه جماعة من الفضلاء والأدباء النبلاء منهم الأديب شهاب الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن علي بن حسن عرف بالحجازي الأنصاري وضمن مرثيته هذه الأبيات فقال .

(كل البرية للمنية صائره % وقفولها شيئا فشيئا سائره) .

(والنفس إن رضيت بذا ربحت وإن % لم ترض كانت عند ذلك خاسره) .

(وأنا الذي راض بأحكام مضت % عن ربنا البر المهيمن صادره) .

(لكن سئمت العيش من بعد الذي % قد خلف الأفكار منا حائره) .

(هو شيخ الإسلام المعظم قدره % من كان أوحد عصره والنادره) .

(قاضي القضاة العسقلاني الذي % لم ترفع الدنيا خصيما ناظره) .

(وشهاب دين ا ذي الفضل الذي % أربى على عدد النجوم مكاثره) .

(لا تعجبوا لعلوه فأبوه من % قبل علي في الدنا والآخره) .

(هو كيمياء العلم كم من طالب % بالكسر جاء له فأضحى جابره)